



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

التهميش السياسي للأقليات العرقية والدينية في العراق

شيفان فاضل



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرٌ ربحيٌّ، مقره الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٌ، وإيجاد حلول عملية لقضايا معقدة تهمّ الحقول السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كتابها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

التهميش السياسي للأقلية العرقية والدينية في العراق

شيفان فاضل *

إذا أرادت الأقلية العرقية والدينية في العراق أن تنتَج بالحقوق السياسية المتساوية والمشاركة في صنع القرار، فإنَّ عليها في البداية معالجة شعورهم بالتهميش السياسي. يدعم الإدماج عن طريق المشاركة السياسية الفعالة والهادفة - وليس الرمزية فقط - شعورهم بالانتماء، وهو ضروري للحفاظ على فسيفساء البلد الغنية من التنوُّع والحفاظ على السلام على المدى الطويل.

أعادت نتيجة الانتخابات البرلمانية العراقية في تشرين الأول (أكتوبر) 2021 إثارة الجدل حول توزيع مقاعد «الكوتا» المخصصة للأقليات في البلاد. مع العمل الإيجابي المتبع بنظام «الكوتا»، إلا أنه يعتقد بمساهمة القضايا المتعلقة بقانون الانتخابات، وتدخل الأحزاب الرئيسة المؤثرة بعرقلة استقلال تمثيل الأقليات وفعاليتها. عُدّت الانتخابات إلى حدٍ كبير بأكملها «جيدة وتنافسية»، هذا مع قلة الإقبال، والمخاوف المتعلقة بتكافؤ الفرص، وبعض جوانب الإطار القانوني.¹ أُجريت الانتخابات الخامسة منذ عام 2003 بموجب قانون انتخابي جديد - وهو مطلب رئيس لاحتجاجات 2019 - الذي قسم الدوائر الانتخابية الثمانية عشر السابقة على (83) في محاولة لتحسين تمثيل الناخبين.² فضلاً عن «الكوتا» النسائية، وهي ربع إجمالي المقاعد، هناك تسعه مقاعد مخصصة للأقليات (5 للمسيحيين وواحد لكل من الإيزيديين، والشبك، والصابئة المندائيين، والأكراد الفيليين).³

فازت «حركة بابليون» -الجناح السياسي لكتائب بابليون- وهي فصيل مسيحي مسلح، تشكَّل في عام 2014 كجزءٍ من قوات الحشد الشعبي، بأربعة من المقاعد الخمسة المخصصة

1. ‘European Union Election Observation Mission Iraq 2021 Preliminary Statement’, 12 Oct. 2021. https://eeas.europa.eu/sites/default/files/eu_eom_iraq_2021_preliminary_statement_2.pdf

2. Shivan Fazil and Dylan O’Driscoll, ‘Iraqis go to the polls on October 10. What happens next?’, Euronews, 4 Oct. 2021. <https://www.euronews.com/2021/10/04/iraqis-go-to-the-polls-on-october-10-what-happens-next-view>

3. ‘Election law of Council of Representatives. no. 9, 2020’, the official Gazette of Iraq, Issue 4603. <https://moj.gov.iq/upload/pdf/4603.pdf>

* باحث في برنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام - IRPIS

للمسيحيين. ودفعت النتيجة أحزاب وشخصيات مسيحية أخرى إلى إبداء تحفظاتها على شرعية التصويت، وتمثل ببابليون لمسيحيي العراق لدور كتلة خارج المكون في انتصارها.⁴

كوتا الأقليات والفجوات في المشاركة السياسية

أمّا للأقليات في العراق فتخصيص مقاعد «الكوتا» التشريعية يعني الاعتراف ب مجتمعاتهم عن طريق التمثيل الذي يتناسب مع حجم سكانهم، فإنهم لديهم اعترافات قوية حول كيفية التنافس على هذه المقاعد. يمكن للناخبين من جميع الخلفيات العرقية والطائفية التصويت لمقاعد الكوتا بموجب قانون الانتخابات الحالي، كما كان الحال في القوانين السابقة، هذا مع النداءات المتكررة للأقليات للحد من حق انتخاب مقاعد «الكوتا» للناخبين من مجتمعاتهم فقط⁵. وهكذا أصبحت الأقليات ناظرة إلى نظام «الكوتا» الحالي بوصفه صورةً من صور التلاعب السياسي الذي يمكن الكتل القوية من غير الأقليات من انتزاع مقاعد «الكوتا» التي قدّمت ظاهرياً منحها تمثيلاً سياسياً. أمّا لـ«يونادم كنا» السياسي الآشوري المخضرم، والذي كان العضو المسيحي الوحيد في المجلس الوطني الانتقالي، الذي أُسسَ في أعقاب الغزو الذي قادته الولايات المتحدة عام 2003، فإنَّ «الألمية الحالية تعادل مصادرة إرادة المسيحيين عن طريق التصويت الجماعي من قبل الأحزاب الأخرى»⁶.

والأسوء من ذلك هو إدراج الأحزاب السائدة لمرشحين من خلفيات الأقليات في قوائمها الانتخابية، لتأمين تصويت الأقلية، أو ترشيح أعضائها كمرشحين في تحالفات الأقليات في محاولة لتأمين مقاعد «الكوتا». يُنظر إلى هؤلاء المرشحين على أنهم يمثلون المصالح السياسية لأحزابهم⁷، وليس تطلعات مجتمعاتهم ومطالبيهم⁸. على سبيل المثال، لأول مرة عضوان من «اليارسانية» والمعروفون أيضاً باسم «الكافاكائية» أو «يارسان» - وهي أقلية دينية تُعدّ كردية في العرق. رُشحَا من قبل الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني لنينوى وكركوك، واثْتُخِباً لعضوية مجلس النواب العراقي. في حين يمكن تفسير هذا على أنه تطور إيجابي لمجتمع الأقلية التي أُقصِيت

4. انتخابات العراق. المسيحيون يطالبون بتغيير «قانون الكوتا»، Sky News Arabic, 27 Oct 2021.

5. المرجع نفسه.

6. مقابلة أجراها المؤلف في نوفمبر 2021 عبر الواتس آب.

7. نظام الكوتا.. هل يلي طموح المسيحيين خلال انتخابات العراق؟، Sky News Arabic, 8 Oct 2021.

8. Yolande Knell, 'Iraq's minorities fear for their future', BBC, 23 Sep. 2017. <https://www.bbc.com/news/world-middle-east-41277880>

لحسب طولية،⁹ إلا أنَّ الرفض كان رد الفعل داخل المجتمع «الكاكائي»، كما شدَّد «رجب كاكائي» -ناشط كاكائي بارز- بحزن «أَهُمْ كاكائيون يمثلون أحرازهم».¹⁰

إنَّ الشعور بالتهميش أكثر خطورة بين الإيزيديين، إذ تشعر شرائح كبيرة من السكان بأَهَا غير مُمثَّلة. سُلْطَ الناشط الإيزيدي «مراد إسماعيل» الضوء على أنَّ «نظام الكوتا كان غير مؤاتٍ للإيزيديين، وأُجبر عديداً من الأحزاب الإيزيدية على التنافس على مقعد واحد فقط، وهو ما لا يتناسب مع عدد سكان مجتمعنا». كان عدد الإيزيديين في العراق يبلغ قرابة (500) ألف ويتركزون في سنجار، قبل تقدُّم «داعش». في أعقاب الفظائع التي ارتكبها «داعش» ضد الإيزيديين، ظهرت عديد من الأصوات الجديدة، بما في ذلك الناجين من العنف الجنسي المرتبط بالنزاع. ومع ذلك، بسبب الملعب غير المستوي، بما في ذلك العقبات المالية والسياسية، يواجه هؤلاء القادة الناشئون صعوبات في دخول السياسة وتمثيل مجتمعهم. وأعرب الناشط الإيزيدي عن أسفه؛ لأنَّ «القادة المستقلين والناشئين يواجهون المؤسسات الجامدة، والأحزاب المؤثرة التي لديها نفوذ، وموارد أكبر بكثير لتعبئة الناخبين».¹¹



المجتمع الإيزيدي يحتفل بالعام الجديد

9. Iraq's Constitution has not recognized Kakai as a religion and are registered as Muslims in official documents, see Saad Salloum, 'Who are Iraq's Kakai', Al Monitor, 10 Feb. 2016. <https://www.al-monitor.com/originals/2016/02/iraq-kakai-religious-minority-kurdistan-quota.html>

10. مقابلة أجراها الكاتب في نوفمبر 2021 عبر سكايب.

11. مقابلة أجراها المؤلف في نوفمبر 2021 عبر تطبيق زوم.

يتبع إقليم كردستان العراق المسار نفسه؛ إذ تظل مشاركة الأقليات غير فعالة بسبب هيمنة الأحزاب الحاكمة¹². ومع أنّ البيئة المؤاتية ظاهرياً للحرفيات الدينية، وتحديد أحد عشر مقعداً تشريعياً للحصص للأقليات (خمسة لكل من المسيحيين والتركمان وواحد للأرمن)¹³. يعتقد السياسيون الذين يشغلون مقاعد «الكوتا»؛ بحسب دعمهم لسياسات الحزب الديمقراطي الكردستاني الحاكم، مما يحرم الأقليات من التمثيل الحقيقي. ومع ذلك، فإنّ المشاركة والتتمثل السياسيين (أو عدم وجودهما) هما جزء من ممارسات وسرديات أوسع للإدماج والإقصاء في العراق (بما في ذلك إقليم كردستان العراق). في أعقاب الصراع مع تنظيم الدولة الإسلامية، طورت السلطات الكردية سردية سياسية تروق لجماهير مختلفة - محلية وخارجية - مؤكدين على تسامهم ودورهم كحمامة للأقليات العرقية والدينية لتمييز إقليم كوردستان عن سائر العراق ودول أخرى في المنطقة¹⁴. وبالمثل، فشلت السلطات العراقية الفيدرالية مراراً وتكراراً في الوفاء بوعودها فيما يتعلق بدعم العدالة واستعادة الوضع¹⁵، وإدماج الأقليات لشنיהם عن الهجرة¹⁶. لذا لا عجب أنّ الأقليات فاقدة للثقة بالمؤسسات الوطنية، وإجراءات الحماية التي خذلتهم في الماضي. ومع ذلك، سواءً أكانوا يخضعون لحكومة العراق أم حكومة إقليم كردستان، فإنّ الأقليات تواجه ممارسات إقصائية قائمة على اللغة

12. Farhad Abdullah and Hawre Hasan Hama, ‘Minority Representation and Reserved Legislative Seats in Iraqi Kurdistan’, *Contemporary Review of the Middle East*. 2020;7(4):381–402. doi:10.1177/2347798920939821

13. United States Commission on International Religious Freedom. ‘Wilting in the Kurdish Sun: The Hopes and Fears of Religious Minorities in Northern Iraq’, May 2017. <https://www.uscirf.gov/sites/default/files/Kurdistan%20report.%20Long.pdf>

14. Costantini I, O'Driscoll D. Practices of exclusion, narratives of inclusion: Violence, population movements and identity politics in post-2014 northern Iraq. *Ethnicities*. 2020;20(3):481–500. doi:10.1177/1468796819858712

15. Waldman, N. ‘Iraq’s reparations law for Yezidi survivors is a positive step’, *Al Jazeera*, 18 Jun. 2021. <https://www.aljazeera.com/opinions/2021/6/28/iraqs-reparations-law-for-yezidi-survivors-is-a-positive-step>

16. Migration is seen by community leaders of minority groups, prone to risk due to Iraq’s political divide and breakdown of security, as the only solution to their community’s survival from extinction. See ‘From Crisis to Catastrophe: the situation of minorities in Iraq’, https://tbinternet.ohchr.org/Treaties/CESCR/Shared%20Documents/IRQ/INT_CESCR_ICO_IRQ_19803_E.pdf

وال تاريخ وتعاليم الدين والمواطنة في مناهج التعليم التي تتجاهل الفسيفساء الغنية بالتنوع العرقي والدين¹⁷. يشدد المقرّر الخاص للأمم المتحدة المعنى بقضايا الأقليات على أنه بصرف النظر عن المشاركة السياسية غير الكافية، فإنَّ الأقليات في العراق تواجه أيضاً التمييز والإقصاء في سوق العمل، بما في ذلك التوظيف الحكومي والقضائي والقطاع العام¹⁸.

العاقون في وسط النزاعات بين بغداد وأربيل

الانتخابات هي بعد واحد فقط من محنَّة الأقليات في العراق. كما يرتبط تهميشهم ارتباطاً وثيقاً بسياسات المناطق المتنازع عليها، والتي تشمل محافظات نينوى وكركوك وديالى وصلاح الدين. استهدف تنظيم «داعش» في عام 4102 الأقليات التي تعيش في محافظة نينوى في شمال العراق استهدافاً خاصاً، مثل: (المسيحيين والإيزيديين، والشبك والكاكيين، وغيرهم). كانت سهول نينوى موطنًا لعديدٍ من الجموعات الثقافية التي تعيش جنباً إلى جنب على مر التاريخ، وتمثل جزءاً مهماً من العراق كمجتمع متعدد الثقافات. ومع ذلك، فهي أيضاً منطقة متنازع عليها، إذ تنافست الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان منذ عام 3002 على السلطة الإدارية في المنطقة. كانت هذه المنافسة مسؤولة جزئياً عن الفشل في تلبية احتياجات سكان المنطقة، وزيادة انعدام الأمان والتوتر تدريجياً، بما في ذلك بين مجتمعات الأقليات نفسها.

تنافس كل من بغداد وأربيل على التنفيذ، وعلى الولاء السياسي للأقليات عن طريق معازلة قادة مجتمع الأقليات لدعم سياساتهم في المناطق المتنازع عليها، ومن ثم تقويض التماسك داخل المجتمعات المحلية. سعت الحكومتان أيضاً إلى استمالة والمخاوف الأمنية وتحدى لها هذه الجماعات عن طريق إنشاء وحدات أمنية (قوات الحشد الشعبي، والبيشمركة)، إذ تتألف من الأقليات باسم الدفاع عن النفس المجتمعي¹⁹. وما زالت التوترات وانعدام الأمن الناتج عنها قائمة في هذه المناطق. وهذا هو السبب أيضاً في أنَّ الندوب التي خلفها حكم الجماعة المتطرفة «داعش» لثلاث سنوات

17. Shanks, K (2016) The changing role of education in the Iraqi disputed territories: Assimilation, segregation and indoctrination. Globalisation, Societies and Education 14(3): 422–433.

18. UN., ‘Report of the Special Rapporteur on minority issues on her mission to Iraq’, 9 Jan. 2017. <https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/G17/002/44/PDF/G1700244.pdf?OpenElement>

19. Erica Gaston and Andras Derzsi-Horvath, ‘Iraq After ISIL Sub-State Actors, Local Forces, and the Micro-Politics of Control’, Global Public Policy Institute, 21 Mar. 2018. <https://www.gppi.net/2018/03/21/iraq-after-isil-sub-state-actors-local-forces-and-the-micro-politics-of-control>

ونصف في شمال العراق ما تزال عميقة، إذ ما يزال آلاف المسيحيين والإيزيدية نازحين²⁰. على عكس المجتمعات العرقية والطائفية الأخرى، كانت عملية العودة أقل جاذباً لهذه الأقليات النازحة. فضلاً عن عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية تدعم عمليات العودة. طالبت مجموعات الأقليات بالحماية والضمادات كشرط مسبق للعودة التي فشلت كل من حكومة العراق وحكومة إقليم كردستان في توفيرها. في ظل عدم وجود ترتيب سياسي في حقبة ما بعد «داعش» والمنافسة المستمرة بين الحكومتين في المناطق المتنازع عليها، يظل النازحون الإيزيديون والمسيحيون متربدين في العودة إلى ديارهم²¹.



مصلون مسيحيون متجمّعون حول نار خارج الكنيسة السريانية الكاثوليكية في بلدة قرقوش ذات الغالية المسيحية في محافظة نينوى، في 24 كانون الأول 2021

20. Mina Aldroubi, ‘Iraqi Christians see little prospect of returning to former homes’, The National News, 16 Aug. 2021. <https://www.thenationalnews.com/mena/iraq/2021/08/16/iraqi-christians-see-little-prospect-of-returning-to-former-homes/> ; Kristina Schlick, ‘Yazidis still displaced in their own country’, DW, 6 Nov. 2021. <https://www.dw.com/en/yazidis-still-displaced-in-their-own-country/a-59725928>

21. Armed groups with competing political interests operate in Nineveh plains and Sinjar, which is also entangled in a geopolitical competition between Iraq and Turkey. Kittleson, S., ‘Turkey targets PKK-linked Yazidis inside Iraq’, Al Monitor, 13 Dec. 2021. <https://www.al-monitor.com/originals/2021/12/turkey-targets-pkk-linked-yazidis-inside-iraq>

ما الذي يحتاج إلى التغيير؟

عزّز عدم اتخاذ إجراءات لمعالجة شعور الأقليات بالتهميش السياسي وجهة النظر السائدة على نطاق واسع بأنَّ الكتل العرقية الطائفية الحاكمة غير مبالبة بضغط الأقليات ومعاناتهم، وهي تتشدق بالحفاظ على فسيفساء العراق الغنية بالتنوع العرقي والديني كلاماً وليس فعلًا. قُدِّمت تعهدات ومقترحات عديدة لمعالجة التهميش السياسي للأقليات، لكن الحكومات المتعاقبة فشلت في تنفيذها. مع احتفال المسيحيين بمرور عام على زيارة البابا التاريخية²²، فإنَّ الكتل السياسية العراقية لديها فرصة للوفاء بتعهداتها لدعم الأقليات، بدءاً بتعديل نظام «الكوتا» بما يتماشى مع المعايير الدولية لضمان مشاركة سياسية فعالة وذات مغزى - وليس مجرد رمزية.²³.

قال «حسام عبدالله» - من تحالف الأقليات العراقية، وهي جماعة مناصرة لحقوق الأقليات - إنَّ «الآلية المناسبة لضمان المشاركة الفعالة هي حجز مقاعد حصص الأقليات للناخبين من هذه المجتمعات»²⁴، وبعد ذلك ستعكس «الكوتا» تطلعات الأقليات التي تدعم شعورهم بالانتماء في العراق أيضاً. ستمثل مثل هذه الخطوة اختباراً أساسياً لالتزام الأحزاب السائدة بمساعدة الأقليات ليس فقط لإبقاءهم على قيد الحياة، ولكن لضمان ازدهارهم في موطن أجدادهم. من المهم أيضاً عكس اتجاه هجرة مجموعات الأقليات هذه، التي انخفضت أعدادها مع تصاعد الهجمات المستهدفة ضدهم بعد عام 2003، وكذلك عام 2014 نتيجة لقضايا عميقة متعددة بما فيها التمييز والتهميش الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والفتائع التي ارتكبها تنظيم «داعش» ضدهم²⁵، تحتاج هذه المجتمعات لعكس هذه الاتجاهات إلى إثبات أنَّ لها مكاناً حقيقياً في العراق.

22. ‘Pope ends historic Iraq visit with messages of coexistence’, 8 Mar. 2021. <https://www.aljazeera.com/news/2021/3/8/pope-ends-iraq-visit-after-mass-in-isil-ruined-city-of-mosul>

23. ‘Minority Rights: International Standards and Guidelines for implementation’, United Nations, 2010. https://www.ohchr.org/Documents/Publications/MinorityRights_en.pdf

24. مقابلة أجراها الكاتب في ديسمبر 2021 عبر تطبيق زوم.

25. Spencer, W. et al. ‘Crossroads: The future of Iraq’s minorities after ISIS’, Konrad Adenauer Stiftung, May 2017. https://www.kas.de/c/document_library/get_file?uuid=d69ea2cc-d8b5-a321-3b27-224c92e086f0&groupId=252038 ; Ferris, E and Taylor, A. ‘the Past and Future of Iraq’s Minorities’, the Brookings, 8 Sept. 2014. <https://www.brookings.edu/opinions/the-past-and-future-of-iraqs-minorities/>

يُعدُ تقديم الإجراءات القانونية وتنفيذها لحماية حقوق الأقليات - بما في ذلك الحق في المشاركة الفعالة والهادفة - علامة واضحة على التزام كل من الحكومات الفيدرالية والإقليمية بالتنوعية والديمقراطية. إنَّ تحسين المشاركة السياسية ضروري للأقليات لتوضيح قضياتهم واهتماماتهم، ولكن أيضاً للحفاظ على السلام والتعايش على المدى الطويل.

المصدر:

https://manaramagazine.org/2022/03/17/the-political-marginalisation-of-ethnic-and-religious-minorities-in-iraq/?elementor-preview&4129=ver_#1647462546=ednref4